İslâm Araştırmaları Dergisi, 27 (2012), 147-161

Araştırma Notu
Research Note

مقولة «يرحل الكبار ولا يرحلون» في ميزان نظرية الرموز الثقافية

محمود الذوادي*

الحاجة لفهم وتفسيرترشح الفكرللخلود

جاءت افتتاحية مجلة المستقبل العربي لشهر حزيران / يونيو2010م لتحول نيتي السابقة لكتابة بحث حول تأهل الفكر للخلود إلى قرارنهائي لخط سطورهذا النص الذي يحاول فهم وتفسير ظاهرة ترشح الفكرالبشري للخلود. فكاتب الإفتتاحية [محمد عابد الجابري: يرحل الكباروﻻيرحلون] قدم لنا تأملات فلسفية حول حتمية الموت وقدرة **الكتابة الفكرية** المبدعة للإنسان على التحيل على فنائه؛ فهي **تمانع العدم وتمنعه**، وبالتالي تجعل معنى الموت نسبيًا للإنسان صاحب الريادة الفكرية. فالجابري في رأي كاتب الإفتتاحية هو من فصيل هؤلاء المفكرين الذين يعتبر موتهم أمرًا نسبيًا. فمشروعه الفكري سيجعله حاضرًا لعقود وربما لقرون [بقي من الراحل ما ليس يرحل، ما سيمدد إقامته في التاريخ لمئات السنين. سيقرأه القادمون إلى العالم بعد قرن أوقرنين أويزيد مثلما قرأنا الشافعي والجاحظ وابن رشد وابن عربي وابن خلدون ومحمد عبده وطه حسين، ص 8]. فهذه التأملات الفلسفية حول قدرة المفكرين العظام على عدم الرحيل والبقاء حاضرين، رغم وفاتهم، تأملات ذات مصداقية عالية؛ ولكنها لاتمدنا بفهم وتفسيرموضوعيين حول سبب تأهل الفكر البشري للبقاء طويلاً أوخالدًا بعد اندثار جسد صاحبه. فالموضوع، في رأيي، يحتاج إلى أكثرمن مجرد تأملات فلسفية؛ هذا ما أود طرحه في هذه المقالة ليس بواسطة الرؤية الفلسفية بل من خلال **منظور العلوم الإجتماعية**. أستعمل إطارًا فكريًا جديدًا لمحاولة التغلب على الغموض الذي طالما

* الأستاذ الدكتور، جامعة تونس

© İSAM, İstanbul 2012

يقف حاجزًا أمام فهم وتفسيرشفافين لأسباب أن كبارالمفكرين لايرحلون. أتبنى هنا مفهومي / نظريتي **للرموز الثقافية** في سعيي لكسب رهان الفهم والتفسير لظاهرة تأهل الفكرالبشري للبقاء الطويل أوالخلود. فبلوغ هذا الهدف يدفع بالطبع إلى الاجتهاد والبحث من أجل القرب على الأقل من الإلمام بأهم العوامل التي تؤهل الفكر للبقاء طويلاً أوخالدًا بعد رحيل صاحبه.

منهجية العقل والنقل

أستعمل كلا من العقل والنقل لتشخيص و تحليل ومناقشة موضوع هذه الدراسة، وهي منهجية العقل العربي المسلم العالم في التراث الفكري والعلمي التقليدي للحضارة العربية الإسلامية. يتفق هذا كثيرًا مع منهجية محمد عابد الجابري في مشروعه الفكري المرشح للبقاء طويلاً لعقود أولقرون. فعلى سبيل المثال، إن النجاح الباهر الذي حققه العقل الخلدوني – الجامع بين العقل والنقل– في ميلاد ووضع الحجر الأساس لعلم العمران / علم الاجتماع الجديد نموذج على مشروعية مصداقية هذه المنهجية في التراث الفكري للثقافة العربية الإسلامية. وهي منهجية تطرح **أسئلة إبيستيمولوجية** وفكرية فيها الكثير من التحدي لمسلمات وقناعات العقل العلمي الغربي المعاصر. فهذا الأخير يعتقد ويدعي أن كسب رهان العلم الحقيقي والمعرفة الأصيلة والصحيحة لا يمكن تحقيقهما إذا لم يقع الفصل الكامل بين الدين والعلم. لكن الشهرة العالمية لحصافة بصيرة فكر ابن خلدون العمراني ذي الأرضية الإسلامية، كما نجده في مقدمته **يفند** مسلمات واعتقاد العقل الغربي الحديث بالنسبة للعلاقة بين الدين والعلم. فهما ليسا بالضرورة دائمًا في حالة تناقض وعداء كما هو الأمر في الثقافة الغربية المعاصرة؛ وإنما هما قد ينعمان بالتعاون والانسجام كما عرفت ذلك الثقافة العربية الإسلامية عند أبرز علمائها ومفكريها وفي طليعتهم ابن خلدون. ومن ثم، ينبغي فهم إدعاءات العقل الغربي المعاصر انطلاقًا من التجربة الغربية الصراعية الخاصة بين **الكنيسة** ، من ناحية، **والعلماء والمثقفين**، من ناحية أخرى. إذن، فليس من الموضوعية تعميم هذه التجربة الغربية على تجارب ديانات وثقافات مجتمعات وحضارات أخرى مع علمائها ومثقفيها. يسمح الإعراض عن التعميم بفتح الباب عريضًا للعلماء والمفكرين من كل الثقافات **للبحث عن أكثر من طريق ودرب** من أجل إنشاء وإرساء علوم ومعارف صلبة العود والصدقية في ما يسميه العالم البريطاني سنو C.P.Snow بالثقافتين the Two Cultures: العلوم الطبيعية والعلوم الإجتماعية والإنسانية .إن منهجية الجمع بين العقل والنقل كوسيلة لإنشاء واكتساب المعرفة هي إحدى تلك السبل التي تبنتها الثقافة العربية الإسلامية ونجحت باستعمالها في الدفع بتقدم العلوم والمعارف الإنسانية. وبناء على ذلك، فقد وجدت أنها منهجية تحليلية ملائمة، كما سنرى، لتشخيص وفهم وتفسير إمكانية ترشح الفكرالبشري للبقاء والدوام بعد رحيل المفكرين جسديًا من هذا العالم.

الفكر جزء من منظومة الرموز الثقافية

و قبل القيام بهذا التشخيص أحتاج إلى طرح معلمين **لمنهجيتي المركبة** للقرب أو بلوغ كسب رهان ذلك التشخيص:

أ ـــ أوجز ما توصلت إليه من معطيات وملاحظات حول منظومة الثقافة أوما أسميه **الرموزالثقا فية** التي لم تعد مجرد مفهوم كما كانت عندي في عهد ميلادها الأول؛ بل أصبحت الآن منظورًا فكريًا مؤهلاً لكي يمثل **نظرية ثقافية عربية** تساعد على الفهم والتفسير للعديد من الظواهر عند أفراد الجنس البشري ومجتمعاتهم، كما يقول تعريف النظرية نفسه [Encyclopedia of Sociology 1974:274].

ب ـــ تطرح منظومتي للرموزالثقافية سؤالاً مركزيًا: هل الإنسان كائن ثقافي بالطبع؟ وتعني كلمة ''ثقافي'' عندي في هذه الدراسة وجود العناصر التالية التي يتميز بها أفراد الجنس البشري: اللغة المنطوقة والمكتوبة والفكر والدين والمعرفة / العلم والأساطير والقوانين والقيم والأعراف الثقا فية (الذوادي 2006). **فالفكر** هو إذن جزء من منظومة الرموز الثقافية. ففهم **طبيعة هذه الأخيرة** يساعدنا على معرفة طبيعة الفكرالإنساني، ومن ثم سبب تأهله للبقاء طويلاً أوحتى للخلود، كما هوالأمرفي إمكانية ترشح المشروع الفكري الجابري لعدم الرحيل لعقود، وربما لقرون قادمة رغم رحيل صاحبه في عام 2010م. واعتمادًا على هذا، فإن المعلمين أ ـــ و ب ـــ هما مربط الفرس لهذا البحث؛ أي أن محاولتي للظفر بمعرفة ذات مصداقية حول أسباب بقاء الفكر بعد أصحابه تعتمد في الصميم على **فهمي ووصفي الخاص لمنظومة الرموزالثقافية**. وبعبارة أخرى، فمنظومة الرموزالثقافية هي بيت القصيد في هذه الدراسة للإمساك بمفاتيح حل ألغاز بقاء / خلود الفكرالبشري كظاهرة إنسانية لاتكاد تثيرها وتتطرق لها، مثلا، العلوم الإجتماعية المعاصرة.

أطروحة الإنسان كائن ثقافي بالطبع

وإذا كانت الرموز الثقافية تمثل جوهرالإنسان، فهل يمكن **تأسيس إطارفكري / نظرية** حول فرضية هذه الطبيعة الثقافية للانسان؟ إن الإجابة الشافية على ذلك قد تحتا ج إلى آلاف الكلمات في مقال أو دراسة أو كتاب أو حتى إلى عديد من المجلدات. ويمكن للمرء أن يتبنى، مثلا، منظور الفلسفة أو العلوم الإ جتماعية أو هما معًا لكي يكتب أطروحة متماسكة في هذا الموضوع. فنحن نعرف كم سال حبر أقلام الفلاسفة والمفكرين الإجتماعيين على الخصوص من كل الحضارات وفي كل العصور حول مقولة مشابهة تتمثل في: أن **الإ نسان مدني / إجتماعي بالطبع**. ومن جهتي، أعتقد أنه ليس من الضروري الإطناب في النقاش والجدال في جوهر الحجج المؤكدة على **الطبيعة الثقافية** للكائن البشري.

فالمسألة يمكن حسمها في مقال قصير لايتجاوز بعض الآف من الكلمات، وكما يقال في الثقافة العربية: خير الكلام ما قل ودل أو البلاغة الإيجاز. وهذا ما أرغب في القيام به باقتصاد شديد في الحروف والكلمات، من ناحية، وبساطة في التعبير؛ وربما في الإقناع في **قضية تبدو معقدة**، من ناحية أخرى. ولبلوغ ذلك أعتمد على منهجية الجمع بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، إذ يصعب التعمق في فهم طبيعة الإنسان في غياب أي من هذين الصنفين من العلوم. فلا يجوزعلميًا تحليل جوهرالإنسان وعمق كينونته بدون الحد يث عن العوامل البيولجية والفيزيولجية / الجسمية عند الإنسان. كما لا تقبل محاولة فهمه بالكامل إذا همش أو ترك جانبًا **أهم ما يميز الجنس البشري** بطريقة فاصلة وحاسمة عن بقية الأجناس الحية الأخرى، وهي المنظومة الثقافية أو ما أسميه الرموز الثقافية. وحسب علمي، ففرضية الطبيعة الثقافية للإنسان فرضية جديدة لاتكاد تطرحها وتنادي بها أي من المدارس الفكرية في العلوم الإجتماعية المعاصرة، مثل الماركسية والبنيوية والوظيفية والتحليل النفسي والسلوكية Behaviorism.

إثبات مركزية الرموزالثقافية في طبيعة الإنسان

إن فرضية الطبيعة الثقافية لكينونة الإنسان المشار إليها تحتاج إلى إختبار يظهر بطلانها أويؤكد مصداقيتها. وهذا ما أود القيام به الآن في تحليلي **العقلي** ومنهجيته. تستند مقولتي بهذا الصدد للبرهنة على مركزية الرموز الثقافية في صلب طبيعة البشرعلى ملاحظات رئيسية محددة حول **خمسة معالم** ينفرد بهاالجنس البشري عن غيره من الأجناس الحية الأخرى:

١- يتصف النمو الجسمي لأفراد الجنس البشري **ببطء شد يد** مقارنة بسرعة النمو الجسدي الذي نجده عند بقية الكائنات الأخرى. فبينما، مثلاً، يمشي الطفل على قدميه قبل او بعد بلوغه بقليل عيد ميلاده الأول تمشي صغار الحيوانات في الساعات أو الأيام الأولى بعد ميلادها (الذوادي)٢٠١٠.

٢- وبنا ء على ذ لك النمو البطيء تأ تي مشروعية ضرورة تمتع أفراد الجنس البشري بمعدل **سن أطول** من عمر معظم أفراد الحيوانات [ناهيك عن كل الثدييات]، حتى يمكن لعملية النمو المتعددة والمعقدة المستويات عند الإنسان أن تكتمل وتبلغ أقصى نضجها. والحق كل الحق لمن يقول بأن بعض السلحفات تعمر أطول من الإنسان. ولكن هذا القول يعزز الجانب العلمي في نظرية الرموز الثقافية، إذ يؤكد فيلسوف العلوم الشهير كارل بوبر Karl Popper أن النظرية تصبح علمية متى أمكن نفي مقولتها، أي **تفنيدها** falsification في بعض الحالات (بوبر116-109:2006). فنظرية النسبية لأينشتاين تختلف عن نظرية التحليل النفسي عند فرويد؛ فالأولى هي نظرية معرضة للتقنيد، بينما نظرية التحليل النفسي تجد دائمًا تفسيرًا لمشاكل المرضى النفسانيين، أي أن نظرية فرويد غير قابلة للتقنيد. ومن ثم، يخلص بوبر إلى

القول بأن **النظرية تكون علمية فقط إذا هي كانت قابلة للتفنيد**. ويستنتج من ذ لك أن هدف العلم لدى بوبر لايتمثل، إذن، في الوصول إلى ماهو يقيني وحقيقي بطريقة نهائية؛ بل العكس هوالصحيح في هذا المنظور الجد يد للعلم.

٣- أما على مستوى السلوك، ينفرد الجنس البشري بلعب **دور السيا دة أوالخلافة** في هذا العالم بدون منافسة حقيقية له من طرف باقي الأجناس الأخرى. وهذه ميزة إنسانية في الصميم تحتاج إلى الفهم والتفسيرخاصة من منظورالعلوم الإجتماعية والإنسانية. وهذا ما أحاول المساهمة فيه من خلال رؤية نظرية الرموز الثقافية.

٤- وكما ذكرت من قبل، يتميّز الجنس البشري بطريقة فا صلة وحاسمة عن الأجناس الأخرى بمنظومة ما أطلقت عليه مصطلح **الرموز الثقافية**: اللغة والفكروالدين والمعرفة / العلم والأساطير والقيم والأعراف الثقافية.

٥- يختص أفراد الجنس البشري **بهوية مزدوجة** تتكوّن من الجانب الجسدي، من جهة، والجانب الرموزي الثقافي (٤)، من جهة ثانية؛ تشبه هذه الثنائية مصطلح الجسد والروح الذي يستعمله الفلاسفة وعلماء الدين. ونظرًا لغموض كلمة الروح عندهم جميعًا، فأنا أفضل استعمال مصطلح «الرموزالثقافية» بدل الروح لوضوح معناها أكثر وفقًا لتعريفي المحدد لها في هذا البحث. وبذلك يجوز في رؤية الإطار الفكري لنظرية الرموز الثقافية صياغة هوية الإنسان المزدوجة في المعادلة التالية: **الإ نسان = جسم + رموز ثقافية**.

وحتى أثبت أو أنفي صحة فرضية مركزية الرموز الثقافية في الإنسان: أي أنه كائن ثقافي بالطبع، فإن التساؤل المشروع الآن هو: **هل من علاقة** بين تلك المعالم الخمسة التي يتميّز بها الإنسان ؟ :

أ- هناك علاقة مباشرة بين المعلمين ١ و ٢، إذ أن النمو الجسمي البطيء عند أفراد الجنس البشري يؤدي بالضرورة، كما ذكرت، إلى حاجتهم إلى معدل سن أطول يمكنهم من تحقيق مراحل النمو والنضج المختلفة والمتعد د ة المستويات. فالعلاقة بين الاثنين هي، إذن، من نوع **العلاقة السببية**.

ب- أما الهوية المزدوجة التي يتصف بها الإنسان فإنها أيضًا ذات **علاقة مباشرة** بين العنصر الجسدي (المعلم ١) للإنسان، من نا حية، والعنصر الرموزي الثقافي (المعلم ٤)، من نا حية أخرى؛ أي أن سبب ازدواجية هوية الإنسان يرجع إلى المعلمين ١ و٤.

ت - عند البحث عن علاقة سيادة الجنس البشري في العالم بالمعالم الأربعة الأخرى، فإن المعلمين ١ و ٢ **لا يؤهلانه**، على مستوى القوة المادية، لكسب رهان السيادة على بقية الأجناس الحية الأخرى، إذ الإنسان أضعف جسديًا من العديد من الكائنات الأخرى. ومن ثم يمكن الاستنتاج بأن سيادة الجنس البشري ذات علاقة قوية

ومباشرة بالمعلمين ٤ و5 : الرموز الثقافية والهوية المزدوجة. والعنصرالمشترك بين هذين المعلمين هو منظومة الرموز الثقافية. وهكذا يتجلى **الدور المركزي** والحاسم لمنظومة الرموز الثقافية في صلب هوية الإنسان في تمكينه وحده من **السيادة** أو الخلافة في هذا العالم. إذن، فالرموز الثقافية هي السبب الأول والأخيرالذي مكن ويمكن الجنس البشري وحده من السيادة في هذا العالم.

ث – لقد وجدت أن الدورالمركزي للرموز الثقافية لا يقتصرعلى منح السيادة للإنسان في هذا العالم، بل هو يؤثر أيضًا على فيزيولوجيا وبيولوجيا الإنسان. كاتبت المجلة الأمريكية العلمية الشهيرة Scientific American حول أسباب بطء النمو الجسمي عند الإنسان فلم يأتني رد من هيئة تحرير هذه المجلة الا بعد حوالي عام. كان ذلك في شهر أكتوبر ٢٠٠٥. واقتصر الرد فقط على نصيحتي بالإطلاع على المواقع الألكترونية لعلم الأنثروبولوجيا. ومن ثم، رأيت مشروعية طرح **الفرضية التالية:** إن الرموز الثقافية / الثقافة تسمح بتفسير المعلمين ١ و ٢. فالنمو الجسمي البطيء عند الإنسان يمكن إرجاعه إلى كون أن عملية النمو عنده تشمل **جبهتين** : الجبهة الجسمية والجبهة الرموزية الثقافية. وهذا خلافًا للنمو الجسدي السريع عند الكائنات الأخرى بسبب فقدانها لمنظومة الرموز الثقافية بمعناها البشري الواسع؛ أي أن الأمر في عملية النمو الشامل لدى الانسان يتطلب بذل جهدين مما يؤدي نتيجة لذلك الى **تعطيل سرعة عملية النمو عند الإنسان على الجبهتين**. وينتج عن ذلك البطء في النمو الجسمي والرموزي الثقافي على حد سواء [الذوادي ٢٠١٠ :أ ــ ١٧٢ ــ ٧٤و ب ــ ٩٤ــ٩٧]. تختلف نظريتي لمركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان عما نجده في العلوم الاجتماعية الغربية (Bock 2009 :74) .

ج – يلخص الرسم التالي **مركزية الرموز الثقافية** في هوية الإنسان، فيعطي بذلك مشروعية قوية لمقولتي النظرية والمتمثلة في أن الإنسان كائن ثقافي بالطبع. ومفهوم النظرية، كما رأينا من قبل، هوذلك الإطار الفكري الذي يسمح بتفسيرعدة ظاهرات. وهذا ما يتجلى في الرسم في تأثير الرموز الثقافية الحاسم في: ١ــ انفراد الجنس البشري بالسيادة في هذا العالم، ٢ــ بطء نموجسم الإنسان، ٣ــ تمتع الإنسان بعمرأطول بين كل الثدييات و ٤ ــ اتصاف الإنسان بهوية مزدوجة. وبناء على هذا الأساس، فمنظومة الرموز الثقافية مؤهلة وصالحة لتكون **نظرية ثقافية** تساعد على فهم وتفسيرشؤون الناس ومجتمعاتهم وحضاراتهم. وتلك هي الوظيفة الرئيسية للنظرية في العلوم الطبيعية والاجتماعية على حد سواء.

الإنسان مزدوج الطبيعة **–٥–** **–٣–** سيادة الإنسان في العالم

جسم الإنسان بطيء النمو**–١–** **–٢–** طول عمر الإنسان

مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان في القرآن

أعتقد أن التحليل العقلي لمركزية الرموز الثقافية في الإنسان يجد سندًا قويًا في فكرالتراث **النقلي** الإسلامي، وبالتحد يد في القرآن الكريم. وهذا ما أحاول الكشف عنه الآن. وكما أكدت في مطلع هذه الدراسة، فمنهجيتي في هذا الطرح الفكري هي منهجية العقل المسلم العالم **الذي يجمع بين العقل والنقل**. فالسؤال المشروع بهذا الصدد هو: هل توجد آيات في القرآن تؤكد على مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان؟ أقتصر في البحث عن ذلك على ما جاء في قوله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ التي ذكرت في سورتي الحجر (29/15) ص (/38.72)؛ فالخطاب في هذه الآية موجه من الله إلى الملا ئكة لكي **تسجد لآدم** تكريمًا له عن غيره من المخلوقا ت الأخرى. ومن ثم، تاتي مشروعية معرفة معنى كلمة **روحي** الواردة في هذه الآية. فذهب معظم المفسرين إلى القول بأن كلمة «روحي» تعني بث الحياة في آدم؛ وهو معنى لاينسجم مع السياق الذي وردت فيه هذه الآية، إذ لو كان معنى كلمة روحي مجرد بث الحياة في آدم لما كان الانسان متميزًا عن المخلوقا ت الأخرى حتى يدعو الله الملائكة للسجود لآدم وحده. ومن هنا، فمعنى كلمة روحي في آية ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ **لا بد أ ن يعني شيئا يتميز به الإنسان** عن سواه يؤهله وحده لكي تسجد له الملائكة، من جهة، وتعطى أيضًا له وحده الخلا فة / السيادة في العالم، من جهة ثانية ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض **خليفة**﴾ البقرة ٣٠.

إن التساؤل عن معنى كلمة «روحي» الواردة في السورتين تساؤل مشروع جدًا لأن الصيغة التركيبية لكلمات الآية تفيد بأن طلب سجود الملائكة لآدم **تلى نفخ روح الله فيه**، أي أن هناك علاقة قوية، إن لم تكن سببية بين عملية نفخ الروح الإلهية في آدم ودعوة الله الملائكة إلى السجود له. وكما هو معروف، فإن كلمة الروح في القرآن أتت بمعان مختلفة، وفي طليعتها بث الحياة في الكائنات. إن إطلاعي على عدد من كتب المفسرين لكلمة «روحي» في هذا الآية يشير أن معظمهم رأى أن لفظ «روحي» هنا يعني القدرة على بث الحياة في الكائنات. فتفسير الجلالين [ا لجلالين 1993] يقول... « وإضافة الروح إليه تشريف لآدم . والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ...» . أما المفسر السوري المشهور اليوم عفيف عبد الفتاح طبارة، فيقدم لنا هذا الشرح التفسيري لمعنى كلمة «روحي» في الآية : « ونفخت فيه من قدرتي أو بعبارة أخرى فإذا أفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري ... فخروا له ساجدين» [طبارة ج ٢٣] . وأختم بتفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي، أشهر المفسرين المصريين في العصر الحديث، فيصوغ معنى روح الله ونفخها في آدم كالتالي:» والنفخ من روح الله لا يعني أن النفخ قد تم بدفع الحياة عن طريق الهواء في فم آدم؛ ولكن الأمر تمثيل لانتشار الروح في جميع أجزاء الجسد. وقد اختلف العلماء في تعريف الروح، وأرى أنه من الأسلم عدم الخوض في ذلك الأمر لأن الحق سبحانه

هو القائل ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [ا لشعراوي ا لمجلد ١٢] .

فواضح من مضمون هذه التفاسير أن معنى لفظ «روحي» اقتصر على مجرد معنى قدرة الله على بث الحياة في آدم التي لايعرف البشر أسرارها؛ ومن ثم، دعا الشيخ الشعراوي إلى تحاشي الخوض فيها .إن الإقتصار على هذا التفسير لمعنى كلمة «روحي» لايسمح منطقيًا لآدم الإنسان بتبوإ منصب خلافة الله في الأرض وسجود الملائكة له تكريمًا لخصوصية وتميز خلقه، إذ لم يبث الله الحياة في الإنسان فقط بل بثها أيضًا في كل الكائنات الحية . وبالتالي، فمجرد بث الحياة في الإنسان لا تؤهله وحده إلى خلافة الله هنا على الأرض. فلا بد، إذن، من البحث عن معنى آخرللفظ «روحي» يفسر بقوة مكانة تميز الإنسان وتفوقه على بقية المخلوقات في إدارة شؤون الأرض كخليفة لله. فالحاجة ماسة هنا إلى تأويل كلمة روحي حتى يستقيم معناها مع السياق القرآني الذي وردت فيه الآية.

مساهمة العلوم الإجتماعية في فهم كلمة روحي

وهنا يأتي، في رأيي، دور العلوم الإجتماعية في مساعدة مفسري القرآن وهديهم إلى المعنى المناسب الذي ينبغي أن يعطى إلى كلمة «روحي» في آية ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾. فالكثير من المفسرين المحدثين يستعينون باكتشافات العلوم الحديثة في التفسير للعديد من الآيات القرآنية التي لها علاقة بخلق الإنسان وفهم عمل مخ وجسم الإنسان أو لها علاقة بالظواهر الطبيعية في الكون، مثل الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والبراكين والزلازل، مما عزز فكرة إعجاز القرآن. فازدادت المؤلفات وكثر انعقاد الندوات والمؤتمرات في هذا الميدان في العالم الإسلامي المعاصر. وإني أتفق مع المفكر الإسلامي وعالم الجيولوجيا الكبير الدكتور زغلول النجار الذي يؤكد على أن الفهم الصحيح لكثير من الآيات القرآنية لا يمكن أن يتم بدون الاعتماد على الاكتشافات العلمية ذات المصدا قية العالية حول الإنسان و الظواهر الطبيعية للعالم/ للكون . والمفسرون المحدثون مطالبون هم أيضًا، وبنفس الدرجة، بالاستفادة من الرصيد المعرفي العلمي للعلوم الاجتماعية المعاصرة في ما له علاقة بفهم سلوك الأفراد والجماعات وحركية المجتمعات والحضارات والمعالم الثقافية البشرية. فهذه العلوم تساعد بالتأكيد على القرب من فهم معنى كلمة «روحي « في الآية المشار إليها هنا. فعلوم الأنثروبولوجيا والاجتماع والنفس تجمع كلها أن الإنسان يتميز ويتفوق على غيره من الكائنات الأخرى بما تسميه تلك العلوم **بالثقافة** Culture أو ما أطلقت عليه مصطلح **الرموز الثقافية** : اللغة ، الفكر ، المعرفة / العلم ، الدين ، القيم والأعراف الثقافية ... أي أن الجنس البشري ينفرد بتلك المنظومة من الرموز الثقافية، وهي التي أهلته وحده في الماضي وتؤهله اليوم وفي المستقبل إلى لعب دور خليفة الله في

الأرض. وبعبارة أخرى، فمعنى « نفخت فيه من **روحي**» تصبح، وفقًا لتأويلي هنا، تدل على أن النفخة الإلهية في آدم هي في المقام الأول **نفخة ثقافية** بالمعنى المعاصر الذي تعطيه العلوم الإجتماعية لمصطلح الثقافة؛ إذ بهذه الأخيرة يفسر علماء العلوم الاجتماعية تميز الإنسان وسيادته في هذا العالم على بقية المخلوقات كما يوضح الرسم السابق. واعتمادًا على ذلك فمعنى كلمة روحي في «ونفخت فيه من روحي» لا بد أن يفيد أولاً وبالذات نفخة الرموز الثقافية في آدم وحده التي أعطته، دون سواه، مقاليد الخلافة في الأرض وما تبعها من سجود الملائكة له. بهذه القراءة الثقافية لمعنى كلمة «روحي» في الآية يتضح مدى تحسن مصداقية تفسير معاني آيات القرآن عندما يستعين المفسرون بالرصيد العلمي الحديث لكل من العلوم الطبيعية وعلوم الإنسان والمجتمع على حد السواء. وبتعبيرالجابري، يمثل تأويلي لكلمة روحي بمعنى الرموزالثقافية محاولة **لتحديث التراث** وجعله معاصرًا لتيارات المدارس الفكرية والعلمية الحديثة ذات المصداقية العالية.

دورالرموزالثقافية في دوام فكرالراحلين الكبار

يمثل التأكيد بمنهجيتي العقل والنقل أعلاه على مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان وتميزهذا الأخير بها عن بقية الكائنات الأخرى **خطوة أساسية** لفهم وتفسير ظاهرة الفكر البشري وإمكانية ترشحه للبقاء الطويل أو حتى للخلود. ومن ثم، هناك مشروعية كبيرة لطرح هذا السؤال: هل من علاقة بين الرموز الثقافية وترشح فكر العظماء من المفكرين إلى البقاء طويلاً أو إلى الخلود؟ فالسؤال مشروع **إبيستيمولوجيا** على مستويين: ١ــ نظرًا لأن الفكر والرموزالثقافية هما **ميزتان** ينفرد بهما الجنس البشري مما يوحي باحتمال وجود علاقة بينهما. ٢ــ تتضح طبيعة العلاقة بين الإثنين من إشاراتي السابقة إلى أن الفكرالإنساني هو جزء من منظومة الرموز الثقافية، الأمرالذي يعزز من قوة فرضيتي التي تعتبر الرموز الثقافية مصدرًا / سببًا لنشأة الفكر البشري أولاً واستمراره وخلوده ثانيًا. وبعبارة أخرى، فالعلاقة بين الرموز الثقافية والفكر البشري هي من نوع **العلاقة السببية**؛ ولإيضاح العلاقة بين الرموز الثقافية والفكر، نحتاج إلى **منهجية مركبة** لإبراز أهم معالم طبيعة تلك العلاقة كما سيتجلى.

الرموز الثقافية كبيئة لنشأة الفكر

إن تأكيدنا على مركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان يساعد كثيرًا على فهم وتفسير ظاهرة الفكرالبشري وإمكانية استمراره وحتى خلوده، الأمر الذي يعزز ترشح الرموز الثقافية لكي تكون **نظرية ثقافية** متماسكة. فالعناصر المكونة لمنظومة الرموز الثقافية

(اللغة والفكر والدين والمعرفة / العلم والقيم والأعراف الثقافية ...) **تؤهل الإنسان لإنشاء الفكر**بالطرق التالية:

١ــ تأتي اللغة في الطليعة في هذا الأمر. لقد أكدت البحوث المعاصرة على العلاقة القوية السببية بين اللغة والفكر، والتي تتلخص في القول: ينعدم التفكير والفكر بدون اللغة؛ هذا على المستوى النظري. أما على المستوى العملي، فالإنسان يعبرعن فكره بواسطة استعماله للغة في شكليها الشفوي والمكتوب. ومما لاشك فيه أن إنشاء الفكر والتعبيرعنه في لغة مكتوبة يرشحه أكثرمن نظيره الشفوي إلى الإستمرار والدوام، وحتى إلى الخلود عبرالعصور.

٢ــ يمثل ميدان المعرفة والعلم، كعنصرين في تعريفي لمنظومة الرموزالثقافية، عاملاً هامًا لنشأة الفكرالإنساني ونضجه. وهذا ما يشهد عليه العصر الحديث على الخصوص.

٣ ــ أثبت الدين عبر كل الحضارات البشرية أنه عنصر فعّال في إنشاء الف كرالإنساني. ففكرالحضارة العربية الإسلامية متأثر بقوة بثقافة الدين الإسلامي.

٤ ــ أما عالم القيم والأعراف الثقافية، فقد أنتج فكرًا واسعًا في علمي الأنثرويولوجيا والإجتماع على الخصوص.

٥ ــ والفكر بكل أنواعه، كعنصر من منظومة الرموز الثقافية، يقود إلى ظاهرة الفكر حول الفكر. فعلى سبيل المثال، كم من كتب فكرية ألفت حول الفكر العمراني في مقدمة ابن خلدون منذ عصرهذا الأخير؟

وهكذا يتضح أن العناصرالرئيسية **لمنظومة الرموزالثقافية** تلعب دورًا بارزًا في إنشاء الفكرالإنساني بأصنافه المتعددة. فهي، إذن، **بيئة صالحة** ليست فقط لميلاد الفكر، وإنما أيضًا لنموه ونضجه واستمراره حيًا لزمن قصير أوطويل قد يصل إلى كسب رهان الخلود عبر الزمان والمكان.

تجاوز طبيعة الفكر لمنطق الماديات

إن التحليل السابق لطبيعة منظومة الرموز الثقافية وكبيئة صالحة لإنشاء الفكر الإنساني يحتاج الآن إلى خطوة منهجية بحثية إضافية من أجل القرب من فهم وتفسير ظاهرة ترشح الفكر الإنساني للبقاء طويلاً أو حتى للخلود. وحتى نفتح السبيل منهجيًا للقرب من الفهم والتفسير لموضوع هذه الدراسة أود **إيبستيمولجيا** التعرف على جوانب أخرى لاتكاد تشيرإليها العلوم الإجتماعية الغربية المعاصرة في دراستها لمنظومة الثقافة / الرموزالثقافية.

فعند التعمق في جوهرطبيعة الرموز الثقافية تبين لي أنها تتسم بلمسات متعالية transcendentalتجعلها تختلف عن صفات مكونات الجسم البشري وعالم المادة. ولشرح ذلك أقتصر على ذ كر سمة رئيسية لمنظومة الرموز الثقافية تساعد على فهم وتفسير ترشح الفكر البشري للبقاء الطويل أو للخلود؛ تتمثل هذه السمة في ما أسميه **خلو الرموز الثقا فية من الوزن والحجم** بالمعنى المادي للأشياء. فمن خلال رؤية ايبستيمولوجية / معرفية، تتصف الرموز الثقافية بتلك السمة. فكل العناصرالمادية لها وزن وحجم مهما كان صغر حجمها وتفاهة وزنها. وهذا ما لانجده في عناصر منظومة الرموز الثقافية البشرية، كاللغة والفكر والدين والمعرفة / العلم والأساطير والقيم والمعاييرالثقافية في المجتمعات والحضارات الإنسانية. ومن ثم، يمكن القول بأن **الرموز الثقافية** هي ذلك ا**لجا بب الروحي من الإنسان**، كما تحد ث عنه الفلاسفة والرسالات الدينية عبر العصور باعتبار أن طبيعة الروحانيات ليست من جنس طبيعة الماديات. فهذه الأخيرة لها، مثلا، وزن وحجم، بينما الأولى / الرموزالثقافية ليس لها وزن وحجم بالمعنى المادي. أعتبر أن هذه **السمة غيرالمادية** لطبيعة الرموز الثقافية أمرمشروع جدًا، لأنه يصف واقع الرموز الثقافية الذي أهملته العلوم الاجتماعية الغربية الحديثة، والذي بدونه لا يمكن فهم وتفسير العديد من الظواهر ذات العلاقة بالرموز الثقافية، مثل ظاهرة البقاء الطويل أو الخلود للفكرالبشري، موضوع هذه المقالة. فعلى المستوى الإيبستيمولوجي، ليس من العجيب أن لا يتناول علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع الغربيون وغيرهم هذه الجوانب في تحاليلهم للثقافة كنسق ذي أولوية في تحليل ودراسة المجتمعات البشرية. ويعود ذلك في المقام الأول إلى أن العلوم الحديثة بكل أصنافها تقريبًا أعطت، من نا حية، أهمية كبرى إلى العوامل والمؤثرات المادية المحسوسة والكمية، وهمشت، من ناحية أخرى، نظيراتها غير المادية والتي لايمكن التعامل معها بمنهجية، ومنطق العلم الوضعي الغربي Positivism الذي يهيمن في العصرالحديث على أنساق المعارف والعلوم في القارات الخمس بسبب الهيمنة الغربية في دنيا العلوم الصحيحة والاجتماعية على حد سواء [Alatas 2006].

ومن منطلق تشخيصي لازدواجية هوية الإنسان، كجسد ورموز ثقافية [جانب مادي / ذي وزن وحجم وجانب غيرمادي / لا وزن ولاحجم له]، تأتي مشروعية ضرورة إفساح المجال في البحث العلمي **لتجاوز المنطق المادي لفهم وتفسير الظواهر**. يصلح هذا المنظور للمساعدة على فهم وتفسير موضوع هذه الدراسة: طول بقاء أو خلود الفكر البشري. فالمفكرون بشر ذوو هوية مزدوجة كما رأينا؛ فالجسد هو الجانب المادي من الإنسان، والرموز الثقافية هي الجانب غير المادي (لا وزن ولا حجم لها) من الإنسان. وباعتبار الفكرجزءًا صميمًا في منظومة الرموز الثقافية، كما أكدت على ذلك من قبل، فإنه مترشح لكي **لايخضع** للمنطق المادي الذي يتأثر به حتميًا جسم الإنسان والمتمثل في الفناء والتلاشي بعد الموت المحتوم. وبعبارة أخرى، **فالفكر** كعنصر رئيسي في الرموز الثقافية **مؤهل** بكل مشروعية **لكي يتجاوزعوائق المنطق المادي** ويبقى طويلاً أو يكسب حتى رهان الخلود بعد فناء أجساد المفكرين الذين لابد أن يرحلوا جسديًا.

علاقة اللغة بإنشاء الفكر وتخليده

وبالإضافة إلى طبيعة الفكرغيرالمادية المؤهلة له للبقاء طويلاً أوحتى الخلود بعد رحيل أصحابه كما رأينا ذلك للتو، فإنه يمكن اكتشاف ترشح الفكر الإنساني للاستمرار وحتى للخلود بواسطة **عامل ثان** يتمثل في اللغة المنطوقة والمكتوبة، كما وقعت الإشارة من قبل باختصار. لكن الأمر يحتاج إلى تفاصيل أكثرحتى تتضح هذه العلاقة المتينة بين اللغة والفكر.

هناك اتفاق بين علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الذين اهتموا أكثر من غيرهم بدراسة عالم الثقافة / الرموزالثقافية أن اللغة في شكليها المنطوق والمكتوب هي أهم تلك الرموز الثقافية جميعًا، لأنه بدون حضورها لايمكن أن توجد بقية الرموز الثقافية. ومن ثم، جاءت مقولتي لتعتبر أن **اللغة هي أم الرموز الثقافية جميعًا**؛ أي أنها العمود الفقري بالنسبة الى إنشاء ظاهرة عالم منظومة الرموز الثقافية بكل عناصرها ومن بينها الفكر. ويجوزتسمية هذا بالجانب العام أو غير المباشرللعلاقة بين اللغة والفكر. وأما الجانب الخاص أوالمباشر، فيتمثل في أن اللغة هي الوسيلة الأساسية التي يعبر بها الإنسان عن فكره أو يكتبه بها. إذن، فالعلاقة بين الفكر واللغة هي حقيقة واضحة المعالم. واللغة لها قدرة كبيرة على **تخليد خاصة ما يكتب بها**. وبالتالي، يفسرهذا سبب مشروعية ترشح الفكر الإنساني لطول البقاء وحتى للخلود نظرًا للعلاقة الوثيقة بين اللغة والفكر التي تؤكد عليها البحوث المعاصرة والحديثة في العلوم الإنسانية والاجتماعية. فاللغات المكتوبة بالتحديد تمكن المجموعات البشرية من تسجيل ذاكراتها الجماعية، والمحا فظة عليها إلى أجل غيرمسمى يشبه طول بقاء وخلود الكائنات الميتافيزيقية/المتعالية. وينطبق هذا الأمر على تأهله الفكر البشري للاستمرار الطويل أو حتى للخلود عبرالعصور والحضارات البشرية المختلفة. فمما لاشك فيه أن الشخصيات التي كتب لفكرها البقاء الطويل أو الخلود على مرالعصور أخذت القلم وعبرت عن فكرها في لغة أولغات متعددة. ومن ثم، **فاستعمال اللغة هو شرط ضروري لإنشاء الفكر وكسبه رهان الاستمرار وإمكانية الخلود عبرالزمان والمكان**. فالعلاقة، إذن، بين اللغة والفكر علاقة عضوية وحميمية إلى أقصى درجة. فقد خط محمد عابد الجابري مشروع فكره العربي الإسلامي بلغة الضاد خلافًا لكثيرمن المفكرين والكتّاب المغاربيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية حول الفكر العربي الإسلامي. وباستعماله للغة العربية، فإنه لايشكو من اغتراب لغوي، الأمر الذي جعل فكره أكثرقربًا لأغلبية المتعلمين والمثقفين بالوطن العربي. وبعبارة أخرى، ففكر الجابري، سواء في رباعيته الشهيرة لنقد العقل العربي أوفي غيرها من مؤلفاته الكثيرة، مرشح في الحاضر، وربما لعقود وقرون في المستقبل لكي يكون أكثر حضورًا وعضوية وحميمية في الحياة الثقافية لمعظم المجتمعات العربية التي تبقى فيها اللغة العربية الفصحى لغة الفكر والثقافة العالمة في دنيا المعارف والعلوم.

طبيعة الفكر ترشحه للبقاء

يتصف العمل الفكري **بالإستقلالية** عن صاحبه بمجرد ميلاده بينما لايتمتع العمل الجسدي بذلك. فمهارة محمد علي كلاي في الملاكمة، مثلاً، لايمكن أن تكون مستقلة عنه. فتجسدها وبقاؤها يتوقفان بالكامل عليه كبطل للملاكمة في فترة محدودة من حياته. يجوزتقسير هذا الفرق بطبيعة قطبي إزدواجية الإنسان المتمثلة في الجسد والرموز الثقافية. فاختلافهما على مستوى حضور أو غياب الاستقلالية المشار إليها يأتي من إنتمائهما إلى قطبين مختلفين من هوية الإنسان. فالعمل الفكري ينتسب إلى قطب الرموزالثقافية / القطب غيرالمادي والعمل الجسدي ينتمي إلى قطب الجسد / القطب المادي. تسمح هذه الرؤية المبنية على عالم الرموز الثقافية بتفسير تمتع الفكر البشري ليس بكثيرمن الإستقلالية فقط عن صاحبه، وإنما أيضًا بقدرته على البقاء حيًا حتى إن لم يدونه صاحبه في كتابته في النص. إن المفكر اللغوي للعالم فرديناند دي سوير Ferdinand De Saussure مثال على ذلك؛ فهو لم يقم بكتابة فكره المشهور في مؤلفه المعروف [درس في علم اللسانيات العام Cours de générale linguistique]، بل تكفل طلبته بعد وفاته في 1913م بجمع فكر محاضراته اللسانية، وأصدروها في كتاب أصبح مرجعًا رئيسيًا في اللغة واللسانيات. وهكذا يتجلى أن العوامل الثلاثة المذكورة: مساعدة اللغة على تخليد الفكر، وانتماء الفكر إلى عالم الروحانيات، وتأهل طبيعة الفكر للاستقلال عن صاحبه، والبقاء بعده تعمل كلها لصالح بقاء الفكر طويلاً أو خالدًا بعد رحيل صاحبه.

البعد الميتافيزيقي للفكر

إن وجوب حضوراللغة كوسيلة لإنشاء الفكرعند الإنسان ليست الوظيفة الوحيدة التي تقدمها اللغة لفكر المفكرين في كل الثقافات البشرية؛ بل للغة المكتوبة على الخصوصة دورحاسم في تمكين الفكرمن تجاوزفترة حياة مؤلفه بعقود، أو قرون، أو إلى أجل غيرمسمى بعد وفاته. يضفي هذا الدور على الفكرالبشري **بعدًا ميتافيزيقيًا**، لإنه يمكن الفكرمن عدم الرحيل مع رحيل صاحبه جسديًا. إن ملامح اللمسات الميتافيزيقية في الأنساق اللغوية لا تحتاج الى عناء كبير لاثباتها. فالمعطيات الميدانية تؤكد قدرة اللغة على تخليد الأفراد والجماعات رموزيًا ثقافيًا عبر الزمان والمكان. فعلى المستوى الجماعي تمكن اللغة المكتوبة على الخصوص المجموعات البشرية من تسجيل ذاكرتها الجماعية والمحافظة عليها وتخليدها، وذلك رغم اندثار وجودها العضوي والبيولوجي، ورغم امكانية تغييرها للمكان وعيش أجيالها اللاحقة في عصور غير عصورها. فمحافظة لغة الضاد محافظة كاملة على النص القرآني خير مثال على **مقدرة اللغة التخليدية** بالنسبة لحماية الذاكرة الجماعية والتراث الثقافي لبني البشر من واقع الفناء المتاثر بالتأكيد بعوامل الزمن والبيئة والوجود الجسمي المادي للمجموعات والمجتمعات والحضارات البشرية ذاتها.

وكذلك الأمر بالنسبة للأفراد. فالكتّاب العباقرة في كل الحضارات الإنسانية وعبر العصور المتلاحقة ما كانوا ليستطيعوا تخليد أفكارهم ونظرياتهم بالكامل لولا توفر اللغة المكتوبة المتطورة على الخصوص في ثقافاتهم. فأفلاطون، وأرسطو، واخناتون، والمعري، وابن خلدون، وابن رشد، وروسو، وماركس، ما كان لأفكارهم أن تصمد أمام عواتي الزمن لقرون طويلة وربما الى أجل غير مسمى لو أنها لم تحفظ في لغات مكتوبة. وباختصار، فالأنساق اللغوية تسمح لرصيد ذاكرات الشعوب وأفكار الشخصيات اللامعة بالتمتع بالقليل أو بالكثير من سمات الخلود والأزلية. ومما لاشك فيه أن كتابة الجابري لمشروعه الفكري العظيم بلغة الضاد تؤهل هذا الفكر لكي يكسب رهان البقاء طويلاً لعقود أو أطول من ذلك لقرون بعد وفاة صاحبه في 3 مايو 2010م.

مشروعية خلود الفكرالبشري

وعلى ضوء تحليلنا العقلي والنقلي السابق لطبيعة الرموز الثقافية، فقد تجلى أن هذه الأخيرة تمثل مركزية هوية الإنسان. كما اتضح لنا برؤية ومنهجية العقل البرهاني، باصطلاح الجابري، أن الرموز الثقافية ليست بالعناصرالمادية لأنها فاقدة للوزن والحجم. ومن ثم، فهي تتسم بصفات متعالية ميتاقيزيقية تؤهلها للبقاء طويلاً أوحتى للخلود. ومن منظور النقل البياني، بتعبيرالجابري، الوارد في القرآن الكريم، فإن **أصل الرموز الثقافية** ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ لدى الجنس البشري **أصل إلهي / ميتافيزيقي في الصميم يمثل الخلود في أوسع وأشمل معانيه**. وهكذا، فالعقل والنقل يتفقان تمامًا على وصف طبيعة الإنسان بإنها مزدوجة: جسد ورموز ثقافية / روح. فالجسد معرض لحتمية الفناء، بينما منظومة الرموز الثقافية مرشحة بقوة للبقاء الطويل أو للخلود بسبب طبيعتها غيرالمادية / المتعالية والميتافيزيقية. ومن هنا، تأتي مشروعية استعمال الناس من الخاصة والعامة كلمة **الخلود** لكي يصفوا بها فكر أو حكمة هذا الفيلسوف أو ذلك المفكر الكبير ورجل الدين والعالم الشهيرالذين ظلت أفكارهم ونظرياتهم وحكمهم وقوانين اكتشافاتهم ترددها وتستعملها الأجيال المتعاقبة عبر العصور. وكما أكدت في مطلع هذا البحث، فمسألة خلود الفكر الإنساني تثير بالطبع **سؤالاً معرفيًا** لاينبغي الهروب عنه ولا محاولة الإجابة عليه بكثير من **الغموض** الذي يضر في نهاية المطاف بعمليتي الفهم والتفسير، ومن ثم بكسب رهان التقدم في ميادين المعرفة والعلم. أعتقد أن الإطار النظري لمفهوم الرموز الثقافية قد ساعد كثيرًا على وضع حد للغموض في الفهم والتفسير، ومنه القدرة الكافية على التعرف عن أسباب طول بقاء أو خلود الأفكار والحكم والنظريات والمفاهيم والقوانين العلمية عبر الزمان والمكان. فكما رأينا من **وجهة النظرالإيبستيمولوجية القرآنية**، أن أصل الرموز الثقافية هو النفخة الروحية / الثقافية الإلهية في آدم: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾؛ أي أن جذور الرموز الثقافية البشرية هي **جذور ميتافيزيقية إلهية تتصف بالأزلية**

والسرمدية التي هي من صفا ت الله في القرآن الكريم. ومنه، فلاغرابة إذن من منظورهذه الرؤية أن يكون الفكر البشري بكل أنواعه مؤهَّلاً لمدى حياة طويلة أو للخلود النسبي على الأقل عبر العصور وعبر الثقافات والحضارات البشرية المتنوعة.

المراجع

بوبر، كارل، **منطق البحث العلمي**، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٦م.

تفسير الجلالين، الطبعة السابعة، بيروت ١٩٩٧م.

الذوادي، محمود، **الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظورالعلوم الإجتماعية**، بيروت: دارالكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٦م.

الذوادي، محمود، ''لماذا يعجزالأطفال عن المشي المبكرمثل صغارالحيوانات؟''، **التقدم العلمي**، العدد ٦٩، يونيو٢٠١٠م، ص ٩٤-٩٧.

الذوادي، محمود، ''هل الثقافة وراء تأخرالمشي المبكرعند الأطفال؟''، **العربي**، العدد ٦١٨، مايو٢٠١٠م، ص ١٧٢-١٧٤.

الشعراوي، متولي، **تفسير الشيخ متولي الشعراوي**، القاهرة: أخبار اليوم إدارة الكتب والمكتبات، ١٩٩١.

طبارة، عفيف عبد الفتاح، **جزء يس٢٣**، بيروت، بدون تاريخ.

Alatas, S. F., *Alternative Discourses in Asian Social Science : Responses to Eurocentrism*, New Delhi: Sage Publications, 2006.